تنظيم «النبوية» في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية دراسة على أحداث «الباب الدموية» عام ١١٧٧م

تـــأليـــف:

أ.د. محمد مؤنس عوض
دلال الزعـــــــبي
خديجة الحمـــــادي
جامعة الشارقة

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 90 5528004880 http://ium.usa.online

يتناول هذا البحث بالدراسة، أمر تنظيم النبوية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، وهو من تنظيمات الفتوة، ودوره في أحداث «الباب» في العام المذكور.

تواجه الباحث في الموضوع عدة صعاب تتمثل في التالي :

أولاً : ندرة الإشارات المصدرية المعاصرة التي اهتمت بالجوانب الحربية والسياسية، والصراع بين الجيوش الإسلامية والصليبية، ولم يتعرض المؤرخون المسلمون غالبًا إلى الصدامات الداخلية الطائفية والعرقية إلا في القليل النادر، ولعل من أسباب ذلك، عدم رغبتهم في إبعاد الاهتمام عن قضية المسلمين الأولى في ذلك العصر، وهي الجهاد ضد الغزاة.

ثانيًا : نجد أنفسنا نعاني من أحادية المصدر، إذ لا نملك وجهة النظر للطرف الآخر، لذلك علينا الحذر في التعامل مع ما ورد عن دور النبوية، خاصة أن التاريخ يكتبه دومًا المنتصرون.

ثالثًا : يتطلب الأمر تحليل النص الفريد الذي أورده الرحالة الأندلسي ابن جبير [٣٠٤] (ت٦١٤هـ) عن النبوية، والحصول على دلالاته دونما قولبة أو اعتساف الأحكام، بل من خلال سياقه التاريخي، والمقارنة مع ما ورد لدى المصادر الأخرى النادرة الإشارة.

من الممكن الاتجاه صوب الجغرافيا كي تفسر لنا أحداث الصدام حينذاك، من خلال إدراكنا أن الجغرافيا توجه التاريخ وما التاريخ إلا الصراع على الجغرافيا، وندرك تمامًا أن الجغرافيا كتضاريس توصف بالثبات، أما حركة التاريخ فهي متغيرة، وبين الثابت والمتحول تتم دراسة موضوعنا.

جدير بالذكر، اندلعت الحروب الصليبية Crusades, Croisadas, Kreuzzuges على إثر دعوة البابا أوربان الثاني [٣٠٥] Urban II (١٠٨٩،١٠٩٩م) في مجمع كليرمونت Clermont بفرنسا في ٢٧ نوفمبر عام ١٠٩٥م [٣٠٦]، وقدمت

(٣٠٤) عن ابن جبير انظر : المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٣، ط. القاهرة ١٩٤١م، ص١٤٢، محمد نزار الدباغ، الشرق العربي الإسلامي من خلال رحلة ابن جبير الأحوال السياسية والعمرانية (٥٨١،٥٧١هـ/١١٨٥،١١٨٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل عام ٢٠٠١م.

(٣٠٥) عن أوربان الثاني انظر :

Fulcher of chartres, A History of the expedition to Jerusalem, trans, Francis Rita Ryan, Tenneessee 1969, pp. 62،67, Becker, A., papst Urban II, Stuttgart 1964, Kelly, J.N.D., Oxford Dictionary of popes, Oxford 1996, pp. 158،160.

(٣٠٦) عن خطابه في ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م انظر :

Munro, D.C., the Speech of pope Urban II at Clermont 1095, A.H.R., X1, 1905, pp. 231،242.

محمد مؤنس عوض وهنادي السيد محمود (محرران)، خطاب البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمونت بفرنسا (٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م)

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا Islamic University of Minnesota IUM المركز الرئيسي
ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so + 90 5528004880 http://ium.usa.online
كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجامعة الإسلامية بمنيسوتا

الحملات الصليبية، وتمكن الغزاة من إقامة إمارتهم في منطقة الجزيرة الفراتية، وبلاد الشام، وهي الرها Edessa [٣٠٧]، وأنطاكية Antioch [٣٠٨]، ومملكة بيت المقدس Latin Kingdom of jerusalem [٣٠٩]، وطرابلس Tripoli [٣١٠].

لقد كان الصراع بين الخلافة العباسية السنية في بغداد، والدولة الفاطمية الشيعية في القاهرة، من أهم العوامل التي ساعدت الصليبيين على إقامة كيانهم في المنطقة، خاصة أن بلاد الشام وقعت كمنطقة وسطى بين الطرفين، وقد تفككت دولة السلاجقة إلى أتابكيات متناحرة بعد وفاة ملكشاه آخر السلاطين السلاجقة الأقوياء عام ١٠٩٢م، وصارت المنطقة تعاني من التشرذم السياسي، والتصارع المذهبي بالإضافة إلى قوة الصليبيين أنفسهم .

شهدت بلاد الشام صدامًا بين القوى السنية والشيعية الإسماعيلية، وهم الذين عُرفوا بالباطنية أو الحشاشين Assassins، وقد تزعمهم الحسن الصباح [٣١١] (ت١١٢٤م) الذي اتخذ من قلعة ألموت (عش العقاب) بشمالي بلاد فارس مركزًا له، وظهر في بلاد الشام عدد من المقدمين الذين أداروا نشاط الإسماعيلية النزارية، واتخذوا من الإرهاب سلاحًا للتخلص من معارضيهم، فاغتالوا جناح الدولة حسين صاحب حمص [٣١٢] (ت١٠٣٥م)، وخلف بن ملاعب صاحب أفامية [٣١٣] (ت١١٠٥م)، وشرف الدين مودود أتابك الموصل [٣١٤] (ت١١١٣م)، وأقسنقر البرسقي أتابك الموصل [٣١٥] (ت١١٢٦م).

بحوث ودراسات، ط. القاهرة ٢٠١٨م .

(٣٠٧) عن إمارة الرها الصليبية، انظر: عليه الجنزوري، إمارة الرها الصليبية، ط. القاهرة ١٩٨٦م، محمود الرويضي، إمارة الرها الصليبية، ط. عمان ٢٠٠٢م .

(٣٠٨) عن إمارة أنطاكية الصليبية، انظر : حسين عطية، إمارة أنطاكية والمسلمون، ط. الإسكندرية ١٩٨٩م،
Cahen, C., La Syaie du nord al L'epoque der croisades, paris 1940.

(٣٠٩) عن مملكة بيت المقدس الصليبية . انظر :
Prawer, J., the latin Kingdom of Jerusalem in the middle ayes, London 1972, Id, crusades Institutions, Oxford 1980.

(٣١٠) عن إمارة طرابلس الصليبية، انظر : نهى الجوهري، إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، ط. القاهرة ٢٠٠٨م .

(٣١١) عن الحسن الصباح انظر : الراوندي، راحة الصدور وآية السرور، ت. الشواربي وعبد النعيم حسنين، فؤاد الصياد، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص٢٣٧، ص٢٣٩، الجويني، تاريخ جهانكشاي، ت. محمد السعيد جمال الدين، ضمن كتاب دولة الإسماعيلية في إيران، ط. القاهرة ١٩٧٥م، ص١٨٤، ص٢٠٦، كامل حسين، طائفة الإسماعيلية، ط. القاهرة ١٩٥٩م، ص٦٤، محمد الشنقيطي، أثر الحروب الصليبية على العلاقات السنية الشيعية، ط. بيروت ٢٠١٦م، ص١٣٣،ص١٣٤.

(٣١٢) عن اغتيال جناح الدولة حسين انظر : ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أميدروز، ط. بيروت ١٩٠٨م، ص١٤٢، ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تراجم السلاجقة، تحقيق علي سويم، الجمعية التاريخية التركية، ط. أنقرة ١٩٧٦م، ص١٢٢،ص١٢٣.

(٣١٣) عن اغتيال خلف بن ملاعب انظر : ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، ج٢، ط. دمشق ١٩٥٤م، ص١٥١،ص١٥٢، السيد العزاوي، فرقة النزارية تعاليمها ورجالها على ضوء المراجع الفارسية، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص١٠٧.

(٣١٤) عن اغتيال شرف الدين مودود، انظر: ابن القلانس، ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٧.

(٣١٥) عن اغتيال أقسنقر البرسقي انظر : ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢١٤، ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص٢٣٢، ابن

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 90 5528004880 http://ium.usa.online

لقد وصل الأمر بالإسماعيلية النزارية أن تحالفوا مع الصليبيين، من أجل تحقيق أهدافهم، وفتكوا بقادة حركة الجهاد الإسلامي ؛ مما دل على دورهم التآمري حينذاك، ولا شك أن ذلك أكد أننا أمام حركة دموية متطرفة، وبالتالي تختلف مع رؤية المؤرخ الأمريكي برنارد لويس[٣١٦] Bernard Lewis عندما وصفهم بأنهم طائفة راديكالية في الإسلام، والأمر المؤكد، رغبته في إثارة النعرات الطائفية خدمة لتقسيم المنطقة، وهو ما أكدته الأحداث التالية.

حدثت وقائع دموية بين القوى الإسلامية وعناصر الإسماعيلية النزارية في بلاد الشام خلال الثلث الأول من القرن الثاني عشر م، فهناك مذبحة حلب[٣١٧] عام ١١١٣م، وأخرى في دمشق[٣١٨] عام ١١٢٩م، أي بعدها بـ(١٦) عامًا، وخلال ذلك، تم الفتك بأعداد كبيرة منهم خاصة في المذبحة الأخيرة، وظهر حينذاك دور بارز لعناصر الأحداث، وهم أشبه بالميليشيات المسلحة داخل المدن الشامية وقد ظهروا خلال العصر الفاطمي .

عندما قدم ابن جبير إلى بلاد الشام، قدم لنا نصًا فريدًا لا نجد له نظيرًا في المصادر العربية المعاصرة، وهو كالتالي : «... النبوية سنيون يدينون بالفتوة، وبأمور الرجولة كلها، وكل من ألحقوه بهم لخصلة يرونها فيه منها يحزمونه السراويل فيلحقونه بهم، ولا يرون أن يستعدي أحد منهم في نازلة تنزل به، لهم في ذلك مذاهب عجيبة، وإذا أقسم أحدهم بالفتوة، بر قسمه، وهم يقتلون هؤلاء الروافض أينما وجدوهم، وشأنهم عجيب في الألفة والائتلاف»[٣١٩].

واقع الأمر، ليس في مقدورنا فهم النص المذكور بدون التعرض لما قام به الخليفة العباسي الناصر لدين الله[٣٢٠] (١١٧٩،١٢٢٥م) الذي أحدث صحوة في الخلافة العباسية، كان من مظاهرها، إحياء تقاليد الفتوة، والفروسية العربية من جديد[٣٢١]، وقد وجدت هناك آداب متعدد للفتيان

الأثير، التاريخ الباهر، تحقيق عبد القادر طليمات، ط. القاهرة ١٩٦٣م، ص١٥.

(٣١٦) Lewis, B., the Assassins,a Radical sect in Islam, London 1967.

(٣١٧) عن مذبحة حلب انظر : ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٩، ص١٩٠، ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص١٦٨.

(٣١٨) عن مذبحة دمشق انظر : ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٢٣، العماد الأصفهاني (القاضي)، البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان، تحقيق كلود كاهن، ١٩٣٨، ص١٣١. B.E.O., V11, VIII, 1938

(٣١٩) ابن جبير، الرحلة، ط. بيروت ١٩٨٤م، ص٢٥٢.

(٣٢٠) عن الخليفة الناصر لدين الله انظر : ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ج٣، ط. بيروت ١٩٧٨م، ص٤٢٠،ص٤٢١، محمد مؤنس عوض، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية في الشرق والغرب، ط. القاهرة ٢٠١٥م، ص١٣٥،ص١٣٦.

(٣٢١) عن إحياء تقاليد الفتوة انظر : ابن الفوطي، تلخيص معجم الآداب في معجم الألقاب، تحقيق مصطفى جواد، ط. بغداد،

منهـا ارتـداء السـراويل، والأحزمة، وشـرب المـاء، والملح، ولدينـا مؤلفات خاصـة بـآداب الفتـوة مثل مـا ألفـه ابـن البقـال (ت١٩٢م) تحـت عنوان المقتـرح فـي المصطلح في فـن تعليم رمي البنـدق والصيـد[٣٢٢]، وقد ألفه للخليفـة الناصر شـخصيًا، كما أ، هناك ابـن المعمار الحنبلـي (ت٦٤٤م) الذي ألف كتاب الفتوة[٣٢٣]، ولا شـك فـي أن مثل تلك المؤلفـات أكدت كيف أن الفتـوة صارت ظاهـرة راسـخة الأركان بدليل التأليـف عنها .

لقـد ظهـرت حينذاك عـدة فـرق للفتوة مثـل الخليلية نسـبة إلـى إبراهيم الخليل[٣٢٤]، والرهاصية نسـبة إلى عمـر الرهاص[٣٢٥]، والنبوية[٣٢٦] نسـبة إلى النبي عليه الصلاة والسلام .

لا نغفل هنا ملاحظـة أن هناك من خلط بين النبويـة، والبيانية[٣٢٧]، والأخيرة هـي إحدى الطـرق الصوفية في بلاد الشـام فـي النصف الأول مـن القرن الثانـي عشـر الميلادي، ونسـبت إلى الشـيخ أبي البيـان الزاهد القرشـي[٣٢٨] (ت٥٦١م) وهـو مـن كبار شـيوخ التصوف فـي ذلك العصر، حيث شـهدت بلاد الشـام حينذاك ازدهارًا للحركـة الصوفية[٣٢٩].

مـن المنطقي تصـور وجـود النبوية كحقيقـة واقعة في بلاد الشـام عندما زارهـا الرحالة ابن جبير حوالي عام ١١٨٥م أي خلال القرن الثاني عشـر الميلادي، ممـا يفند قـول المستشـرق الفرنسـي ديمومبيـن Demombynes عندما اعتقـد أن تنظيمـات الفتيان مارسـت أنشـطتها الحربية ضد الإسـماعيلية النزاريـة خلال القرن الثالث عشـر المـيلادي [٣٣٠]، إذ أن الإشـارات المصدرية القليلـة التي لدينا لا تشـير إلـى امتدادها إلى القـرن المذكور .

١٩٣٢م، ص١٤٨، ابن الساعي، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، ط. بغداد ١٩٣٤م، ص٢٨١، جيرالد زلنجر، الفتوة هل هي الفروسية الشرقية، ضمن كتاب دراسات إسلامية، ت. مجموعة من الباحثين، إشراف نقولا زيادة، ط. بيروت ١٩٦٠م، ص٢٢١.

(٣٢٢) مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم (٣٥٠٦) تاريخ .

(٣٢٣) تحقيق مصطفى جواد والنجار والهلالي وعيسى، ط. بغداد ١٩٥٨م .

(٣٢٤) عمر رضا كحالة، دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية، ط. دمشق ١٩٧٣م، ص٢٨.

(٣٢٥) ابن المعمار، الفتوة، ص٥٠.

(٣٢٦) نفسه، نفس الصفحة .

(٣٢٧) حسين نصار، تحقيق لرحلة ابن جبير، ص٢٦٩، حاشية (١)، وشاركه نفس الرأي نقولا زيادة، حيث اعتقد أن النبوية من كبريات الطرق الصوفية عن ذلك انظر : نقولا زيادة، دمشق في عصر المماليك، ط. بيروت ١٩٦٦م، ص١٢٨، ويلاحظ أن المحقق الراحل سامي الدهان قرأ الاسم النبوية على أنه البنوية انظر : زبدة الحلب، ج٣، ص٣٢.

(٣٢٨) عن الشيخ نبا بن الزاهد القرشي انظر : ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٥، ط. القاهرة ب،ت، ص٣٢٤، النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسني، ج٢، ط. دمشق ١٩٤٨م، ص١٩٢، العدوي، الزيارات، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط. دمشق ١٩٥٦م، ص٥٣،ص٥٤.

(٣٢٩) عن الحركة الصوفية في بلاد الشام في ذلك العصر انظر : محمد مؤنس عوض، الحركة الصوفية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى)، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص١٣٠، ٧١، أحلام البرواري، التصوف في بلاد الشام ومصر خلال العصر الايوبي (٥٦٧، ٦٤٨هـ/١١٧١، ١٢٥٠م)، ط. دمشق ٢٠١٥م .

(٣٣٠) Demombyne, A., Muslim Institutions, trans. Meeheneyor, London 1954k p.41.

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 90 5528004880 http://ium.usa.online

أضف إلى ذلك، اتجه المستشرق الألماني فرانز تيشنر Franz Techner الذي يعد عمدة دارسي تاريخ الفتوة الإسلامية، إلى الربط بين النبوية ووجودهم في دمشق [٣٣١]، على اعتبار أن نص ابن جبير السالف الذكر، يوضح ارتباط وجودهم بها، إلا أن الأحداث أثبتت لنا أن القسم الشمالي نحو حلب، قد شهد النشاط الأوفر لهم .

زد على ذلك، رأى المستشرق برنارد لويس أن النبوية تنظيم إسلامي ضد الشيعة في العراق [٣٣٢]. ومع ذلك، ففي ضوء ما لدينا من إشارات مصدرية نادرة، يتأكد لنا، أن بلاد الشام شهدت فصولاً من أدوارهم الحربية، وإن كنا لا نعرف هل نشأتهم كانت عراقية أم شامية، من خلال التأثير المتبادل بين الإقليمين المتجاورين، خاصة أن صحوة الفتوة في عهد الخليفة الناصر بدأت من العراق في الأصل .

وقع الأمر، أورد ابن جبير إلى جانب النص السابق، نصًا على جانب كبير من الأهمية عندما تحدث عن الباب القريبة من حلب حيث أشار إلى صدام بين النبوية وعناصر الإسماعيلية النزارية، وفي ذلك قال : «قرية كبيرة تعرف بالباب، وهي باب بين بزاغة وحلب، وكان يعمرها منذ ثماني سنين قوم من الملاحدة الإسماعيلية لا يحصى عددهم إلا الله، فطار شررهم، وقطع هذه السيل فسادهم، وإضرارهم، حتى داخلت أهل هذه البلاد العصبية، وحركتهم الأنفة والحمية، فتجمعوا من كل أوب عليهم، ووضعوا السيوف فيهم، فاستأصلوهم عن آخرهم، وعجلوا بقطع دابرهم، وكومت بهذه البطحاء جماجمهم، وكفى الله المسلمين عاديتهم، وشرهم، وأحاق بهم مكرهم، والحمد لله رب العالمين، وسكانها اليوم قوم سينون» [٣٣٣].

على الرغم من عدم تصريح ابن جبير بالنبوية في أحداث الباب، إلا أن النص الأول يرجح دورهم .

الواقع، من الضرورة بمكان الاتجاه صوب الجغرافيا لتحديد موقع الباب، فقد وقعت بالقرب من حلب على بعد نحو (٣٨) ك.م منها، في وادٍ عرف بوادي بطنان فهي إلى الشمال الشرقي من حلب وإلى الجنوب الغربي من منبج، وإلى الجنوب من بزاغة (وتعرف حاليًا بزاعه) ونظرًا لقربها من

(٣٣١) الفتوة والخليفة الناصر، ضمن كتاب المنتقى من دراسات المستشرقين، ت.صلاح الدين المنجد، ط. القاهرة ١٩٥٥م، ص١٩٠.
(٣٣٢) Lewis, B., the Assassins, p. 114.
(٣٣٣) ابن جبير، الرحلة، ص٢٢٤.

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا Islamic University of Minnesota IUM المركز الرئيسي
ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so + 90 5528004880 http://ium.usa.online
كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجامعة الإسلامية بمنيسوتا

الأخيرة، وصفت بأنها باب بزاغة، ووقعت في سفح جبل يسمى جبل الشيخ عقيل [٣٣٤].

ليس في مقدورنا إدراك أهمية موقع الباب بدون البعد التجاري، حيث ارتبطت حلب عمومًا مع الموصل بخطوط تجارية وكانت حركة القوافل نشطة بين شمالي بلاد الشام، وشمالي العراق.

يضاف إلى ذلك، ما ورد لدى المؤرخ والجغرافي أبو الفداء (ت١٣٣٢م)، الذي أشار إلى توافر زراعة أشجار التوت فيها «لأجل القز»[٣٣٥]، وبالتالي تأكد لنا وقوعها على طريق الحرير[٣٣٦] Silk Road العابر للقارات الذي بدأ من شنغهاي في الصين إلى فينيسيا Venice بإيطاليا، وقد اعتبر الحرير أحد أركان التجارة الدولية بين الشرق والغرب حينذاك، وهي الحرير Silk، والرقيق Slaves، والذهب Gold، والتوابل Spices، وتصارعت القوى المحلية والدولية على تلك السلع والطرق المارة بها نظرًا لأهميتها الاستراتيجية .

من الممكن الافتراض، أن ذلك الموقع الحيوي على المستوى التجاري، شكل ازدهارًا للباب، وأن نظرة إلى الخريطة تكشف لنا وقوعها بين منبج المزدهرة تجاريًا، وحلب التي توصف بأنها القلب التجاري في النطاق الجغرافي المذكور، وقد وُصفت منبج بأن أسواقها، وسككها فسيحة متسعة، ودكاكينها، وحوانيتها كأنها الخانات، والمخازن فيها متسعة اتساعًا كبيرًا، كذلك نجد بزاغة نفسها ظهرت فيها التجارة، ووصفت بأنها جمعت بين المرافق السفرية، والمتاجر الحضرية كما لاحظ ذلك ابن جبير[٣٣٧] نفسه، أما الباب، فقد وصفت بأنها قرية كبيرة من خلال النص المذكور، وقد قوى نفوذ عناصر الإسماعيلية النزارية في الباب، وتزايدت أعدادهم بها، ومن المفترض منطقيًا أنه في أعقاب المذبحة الأولى في حلب عام ١١١٣م ؛ أدركت تلك العناصر ضرورة الاحتماء بموقع جبلي محصن في صورة جبل الشيخ عقيل في الباب .

(٣٣٤) عن الموقع الجغرافي للباب، انظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ط. بيروت ١٩٥٥م، ص٣٠٣، شيخ الربوة الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تحقيق مهرن، ط. بطرسبرج ١٨٣٥م، ص٢٠٥، وعن وادي بطنان الذي وقعت فيه الباب انظر : القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق فاروق سعد، ط. بيروت ١٩٧٣م، ٢٢١.

(٣٣٥) تقويم البلدان، تحقيق رينو ودي سلان، ط. باريس ١٨٤٠م، ص٢٧١.

(٣٣٦) عن طريق الحرير انظر : أيرين فرانك وديفيد برانستون، طريق الحرير، ت. أحمد محمود، المجلس الأعلى للثقافة، ط. القاهرة ١٩٨٦م، طارق شمس الدين، الشرق على طريق الحرير، دراسة تاريخية وجغرافية واقتصادية ٣٠٠٠ ق.م – ٢٠١٧م، ط. بيروت ٢٠١٨م . مجموعة من الباحثين، مجلة دراسات تاريخية عدد خاص، طريق الحرير، السنة (١٢)، العددان (٣٩)، و(٤٠)، كانون الأول ١٩٩١م (دراسات على جانب كبير من الأهمية) .

Liu, K., the Silk Road in World History, Oxford University press 2010.

(٣٣٧) الرحلة، ص٢٢٤.

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 90 5528004880 http://ium.usa.online

وقد تزايدت أعدادهم، وقاموا بأعمال سلب ونهب للقوافل التجارية، ولذلك، حدث الصدام بينهم وبين القوى السنية التي رفضت خضوع تلك المنطقة المهمة تجاريًا لسيطرتهم .

يقدم لنا المؤرخ ابن العديم الحلبي (ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م) إشارة مهمة تفيد بوقوع صدام عنيف عام (٥٧٣هـ/١١٧٧م) اشتركت فيه عناصر النبوية ضد الإسماعيلية النزارية، وفي ذلك ذكر ما نصه : «كان في الباب منهم جماعة فثار بهم (النبوية) من أهل ذلك البلد . وقاتلوهم من التركمان، فانهزموا واختبؤا في المغاير، فنهبوا دورهم، وعروا نساءهم، ودخنوا عليهم المغاير، وقتلوا من أمكنهم قتله » [٣٣٨].

يتضح لنا من النص المذكور، أن النبوية قاموا بإشعال الحرائق في مداخل المغارات الموجودة في جبل الشيخ عقيل، على نحو أدى إلى كثافة الدخان على من اختبأ فيها، وعندما أرادوا الخروج، تم الفتك بهم، وكان ذلك من عوامل كثرة أعداد القتلى في صفوفهم، ناهيك عن كثافة عدد المهاجمين على نحو توحي به إشارات ابن العديم خبير تاريخ حلب، وما جاورها .

يقدر أحد المؤرخين المتخصصين في الدراسات الإسماعيلية أعداد النبوية بأنهم نحو عشرة آلاف، وقد قتلوا من الإسماعيلية ثلاثة عشر ألفًا[٣٣٩]، وذبحوهم ذبحًا على نحو أكد الطابع الدموي خلال تلك الأحداث، ومن الواضح طابع المبالغة لأن الباب ذاتها وصفت بأنها قرية كبيرة ومن المستبعد منطقيًا وجود تلك الكثافة السكانية بها، دون أن يتعارض ذلك مع قولنا بكثرة القتلة منهم .

من المفترض منطقيًا أن أحداث مذبحة الباب عام ١١٧٧م، ظلت ماثلة في الأفق بعد وقوعها بعدة أعوام، وظلت متجددة مع وجود الجماجم، وعظام القتلى في موقع الحادثة بحيث عندما مر بها ابن جبير نحو عام ١١٨٥م، أشار إلى حدوثها منذ ثماني سنوات، مما دل أن الروايات الشفهية ظلت ترددها طوال تلك الأعوام، وزادت مع الخيال الشعبي الخصب خاصة في مثل تلك الصدامات .

(٣٣٨) زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، ج٢، ط. بيروت ١٩٩٦م، ص٣٧٤.
(٣٣٩) برنارد لويس، الدعوة الإسماعيلية الجديدة، ت. سهيل زكار، ط. القاهرة ١٩٧١م، ص١٣٣.

كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so + 90 5528004880 http://ium.usa.online
الجامعة الإسلامية بمنيسوتا Islamic University of Minnesota IUM المركز الرئيسي

لقد كان هجوم عناصر النبوية كاسـحًا، على نحو تزايدت مع الخسـائر البشرية وقد قرر ذلـك الرحالة ما نصه : «وضعوا السـيف فيهم، فاسـتأصلوهم عن آخرهم» [٣٤٠].

لا تعليـل للخسـائر الفادحـة فـي صفـوف الإسـماعيلية النزارية مـن جراء هجـوم النبوية سـوى كثافة عـدد المهاجميـن، ومعرفتهم التامـة بأماكن تواجـد أعدائهـم الذيـن تحصنـوا في مغـارات جبل الشـيخ عقيـل فصاروا هدفًـا سـهلاً للنبوية .

الواقـع، تعـد مذبحة البـاب عـام ١١٧٧م، امتـدادًا طبيعيًا لمذبحتـي حلب عام ١١١٣م، دمشـق عام ١١٢٩م، ومع ذلـك، هناك فوارق بينهـا، إذ في المذبحتين الأولـى والثانيـة كانت عناصـر الأحداث لهـا دورها البـارز، أما أحـداث الباب فكانت هنـاك عناصـر النبوية لها الصـدارة كقوة ضاربـة ضدهم .

تبقـى هنا زاوية علـى جانب كبير من الأهميـة، إذ أن حلـب وتوابعها في عام ١١٧٧م، كانـت لا تزال تحت سـيطرة الزنكيين حيث حكمها الصالح إسـماعيل ابـن نور الدين محمـود، وتولى الحكـم خلال الأعوام من ١١٧٤ إلـى ١١٨١م، وقد وقعت تلـك المذبحة بعد (٣) سـنوات فقط مـن رحيل نـور الدين محمود (١١٧٤،١١٤٦م)، وحـدث تصـارع بيـن الزنكييـن وصلاح الدين الأيوبي، ولا شـك أنهـم أرادوا إخضاع الإسـماعيلية النزارية حتى يظهروا أمام مؤسـس الدولة الأيوبيـة بقدرتهم على فرض سـيادتهم علـى تلك المنطقة الاسـتراتيجية، ومن المسـتبعد منطقيًا أن يكون تحـرك النبوية بمعزل عـن أوامر عليا من جانـب حاكم حلـب الصالح إسـماعيل، ومما جعـل الزنكيين يبـادرون بتلك المواجهـة، الوجود الصليبي المجـاور لهم في إمارة أنطاكيـة على نحو خاص .

لا شـك في أن نجـاح الزنكيين في القضاء على الإسـماعيلية فـي الباب عام ١١٧٧م، وجه رسـالة مزدوجة لصلاح الدين الأيوبي وكذلـك الصليبيين مفادها قدرتهم على فرض السـيطرة علـى تلك المنطقة الحدوديـة المحورية .

أما نتائج المذبحة فيمكن ملاحظتها كالتالي :

أولاً : حـدث تغيـر ديموغرافي (سـكاني) في المنطقة، حيث تـم إبعاد الوجود الإسـماعيلي، وحـل محلـه الوجود السـني مـن خلال عملية تهجيـر لملء

(٣٤٠) الرحلة، ص٢٢٤، ص٢٢٥.

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 90 5528004880 http://ium.usa.online

الفراغ على الأرجح، ومن المستبعد حدوث ذلك دون توجيه رسمي، ولذلك قال ابن جبير صراحة : «... وسكانها اليوم قوم سينون» (٣٤١).

ثانيًا : تأكد لنا أهمية النص التعريفي الفريد الذي أورده ابن جبير في رحلته، إذ لا نجد له نظيرًا في المصادر العربية المعاصرة، نظرًا لقدومه إلى المنطقة بعين مستكشفة على نحو أكد لنا بالفعل أن الرحلة هي عين الجغرافيا المبصرة، مما دل على أهمية المصادر الجغرافية في دراسة عصر الحروب الصليبية .

ثالثًا : اتضح لنا أن تناول أحداث الباب الدامية عام ١١٧٧م لا يمكن فصلها عن الأحداث السابقة في حلب عام ١١١٣م، ودمشق عام ١١٢٩م، إذ أن حركة التاريخ ليس من السهل تجزئتها بل إنها تتكامل معًا .

خلص البحث إلى عدة نتائج نجملها كالتالي:

أولاً : شهدت بلاد الشام عصر الحروب الصليبية خاصة خلال القرن الثاني عشر الميلادي ظهور تنظيمات حربية لدى طرفي الصراع، فلدى الصليبيين وجدت هيئة الاستبارية Hospitallers (٣٤٢)، وفرسان الداوية Templars (٣٤٣)، أما بالنسبة للمسلمين، فقد ظهر تنظيم النبوية الذي كان له دوره في مواجهة العناصر المتحدة ضد القيادات السنية في شمالي بلاد الشام.

ثانيًا : حدث في ذلك العصر ما يمكن وصفه بالمواجهة مع عناصر الإسماعيلية النزارية التي أشهرت سلاح الإرهاب، واغتالت القيادات الإسلامية المجاهدة لذلك، كان من الضروري بمكان مواجهتهم، خاصة أنهم أحيانًا تحالفوا مع الصليبيين من أجل تحقيق أهدافهم .

ثالثًا : ليس في الإمكان فهم أحداث الباب عام ١١٧٧م، بمعزل عن موقعها الجغرافي وطرق التجارة القائمة بين شمالي بلاد الشام والعراق على نحو أكد أهمية التفسير الجغرافي لحركة التاريخ مع عدم إغفال أهمية التفسيرات الأخرى .

ذلك عرض عن النبوية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ودورها في أحداث الباب عام ١١٧٧م .

---

(٣٤١) نفسه، ص٢٢٥.

(٣٤٢) عن الاستبارية انظر :
Bronstin, J., the Hospitallers and the Holy Land, Financing the latin East, Woodbridge, U.K. 2005.

(٣٤٣) عن الداوية انظر :
Barber, M., The trial of the Templars, Cambridge University press 1978, Nicholson, H., the Knights templars: A New History, Stroud 2001, Demuryer, A., Les templiers: Un Chevalerie chretienne au Moyen Aye, Paris 2005.

كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so + 90 5528004880 http://ium.usa.online
الجامعة الإسلامية بمنيسوتا Islamic University of Minnesota IUM المركز الرئيسي